وخارج هذا الشرط يرد السؤال الصعب : هل تحررت الطائفة اليهودية على اشلاء فلسطين التي لم تعد اشلاء ؟ قد يقولون انهم تحرروا من المنفى ، فأي وطن هذا الذى لا يشبهه ميدان قتال اخر · لقد جمعوا « منافيهم » في منفى واحد مسدود النوافذ على الجهات كلها الا جهة الانتحار · وقبل ذلك وبعده ، هل يصلح مثال هذه الاسئلة للطرح على الصهيونية خارج عناصرها العدوانية والتدميرية ؟ لا · فأي كيان هذا الذي تجري محاكمته ضمن منظور عادي وخارج ساحة الصراع ؟· واي مستقبل ـ حل يصوغه هذا الجندي المدرب في حرب بلغت ثلاثين عاما ولم تتوقف ؟ · ليست الحرب هدفا الا للمنتحرين ·

ويأتي الحضور الفلسطيني النقيض الذي كان غيابه شرط حياة الكيان الصهيوني ليحول الاسئلة الى مصير · لا يأتي الفلسطيني من الصفر ومن الليل السري والبحر الغامض · انه يأتي من أرض اقامته ومن الحق ومن نهوض الامة الكبيرة ومن مستقبلها · ان تطور الشخصية الفلسطينية النقيض لتحالف الماضي هو الذي يحدد وجهة المستقبل ، على الرغم من امتلاء اللحظة العربية الراهنة بمظاهر العودة الى الماضي · لقد انقسم العرب لانهم منقسمون منذ البداية الى قوى متعارضة في المصالح الاجتماعية والوطنية · وقد آن الاوان لان يوقى الرجاء العربي من اغراء الكم واحتمالات الضغط على الامبريالية بالثروة التي هي ليست لنا ، فها هي تعلن عن وجهها وتبذل كل شيء من اجل أن تعطى دورا اميركيا افضل في مكافحة الثورة · ومن اجل ان تنجز « التسوية الاجتماعية » الداخلية شرطا لاقامة علاقات طبيعية مع العدو ·

ونحن لا ننظر الى الوراء لنرى الليل السابق ، والحصار الراهن ، بل لنرى التطور المذهل الذي حققته مسيرة تبلور الشخصية الفلسطينية المقاتلة على كل جبهات الصراع ، ولنرى المأزق الذي يضع الحضور الفلسطيني عدوه التاريخي فيه ، حيث يجعله عاجزا عن توظيف انتصاراته العسكرية ، ويعطي للنصر الصهيوني صفته الحقيقية « هزيمة الانتصار » · ونحن ، لا ننظر الى الوراء لنرى الليل الذي ساقتنا اليه الصهيونية والرجعية ، يوم كنا صغارا ووحيدين ، بل لنرى نقطة الضوء المتناسلة في المدى العربي الواسع ، ولندرك ان المأزق الذي يسم الوقت العربي الراهن بالعجز ، ليس مأزق الجماهير والامة ، بل هو مأزق الحكام الذين انتصرت عليهم الهزيمة ·

ان اشياء كثيرة تنتهي

وان اشياء كثيرة تبدأ ·

محمود درويش